نظريتي

﴿ في قصة صلب المسيح وقيامته من الاموات ﴾

تابع ما قبله

ولنا أن نسأل هنا الاسئلة الآتية : ـ

(١) اذا كان المسيح أخبر تلاميذه بأنه بعد قيامته سيسبقهم الى الجليل وأمرهم بالذهاب إلى هناك لكي يروه (مت ٢٦ : ٣٢ و ٢٨ : ١٠ ومر ١٦ : ٧) فلماذا إذاً ظهر لهم في أورشليم كما يقول لوقا ويوحنا في نفس اليوم الذي قام فيه (لو ٢٤ : ٣٦ و ٣٧ ويو ٢٠ : ١٩) ؟

(٢) ما الحكمة في إرسالهم إلى الجليل ليروه هناك مع أنه ظهر لهم مرارا في أورشليم (أع ١ : ٣) وما الداعي إلى ذلك ؟ وهو الذي أمرهم ان لا يبرحوا أورشليم حتى يحل عليهم روح القدس (لو ٢٤ : ٤٩ و أع ١ : ٤)

(٣) هل ظهوره لهم في الجليل كان بعد ظهوره لهم في أورشليم أم قبله؟ فان كان بعده فلماذا شكوا فيه (مت ٢٨ : ١٧) بعد أن كان اقنعهم بذلك في اورشليم (لو ٢٤ : ٣٩ ـ ٤٩ ويو ٢٠ : ٢٠ و ٢٧) وان كان قبله فمتى ذهبوا إلى الجليل اذا مع العلم بأن الجليل يبعد عن أورشليم مسيرة ثلاثة أيام على الاقل وقد نصت الاناجيل على أنهم رأوه في اورشليم في نفس يوم قيامته من القبر فهل يعقل انهم ذهبوا إلى الجليل ورأوه هناك ثم رجعوا في نفس ذلك اليوم ؟ وان كان السبب في الشك أن هيئته كانت تتغير بعد القيامة مرارا فلماذا كان ذلك وما الحكمة في هذا التحليل واذا كانت هيئته قابلة للتغير والتبديل بعد القيامة وقبلها كما يفهم من الاناجيل (راجع متى ١٧ : ١ ـ ٧ ومر ٩ : ٢ ـ ٨ ولو ٩ : ٢٨ ـ ٣٦) وكان لها القدرة على الاختفاء عن أعين الناس والمرور في وسطهم بدون أن يروه والافلات من أيديهم

(يو ٨ : ٥٩ و ١٠ : ٣٩ ولو ٤ : ٣٠) فكيف إذاً يجزمون بأن اليهود صلبوه وأنهم عرفوه حقيقة وأمسكوه مع أن نفس تلاميذه كانوا يشكون فيه لكثرة تغيير هيئته وتبدلها (يو ٢١ : ٤) وهم أعرف الناس به وأقربهم اليه وأكثرهم اختلاطا به (لو ٢٤ : ١٦ ومر ١٦ : ١٢ ويو ٢٠ : ١٤) فأي غرابة إذا قلنا أن اليهود لم يعرفوه وأخطأوه كما أخطأته مرة مريم المجدلية وظنته البستاني (يو ٢٠ : ١٥)

(٤) إذا كان المسيح ظهر لهم في اورشليم يوم قيامته فلماذا لم يأمرهم بنفسه وقتئذ بالذهاب الى الجليل بدلا من أن يرسل اليهم هذا الامر بواسطة النساء (متى ٢٨ : ١٠ ومر ١٦ : ٧) ولماذا لم يذكر متى هذا الظهور ويذكر ما ينافيه مما سبق بيانه ؟ ألا يدل ذلك على أنه ما ظهر لهم في أورشليم ولا لما احتاج لتوسيط النساء بينه وبين تلاميذه ؟ ولم تترك متى ذكر ذلك وهو من الاهمية والبعد عن الشك كما يقول الآخرون بمكان عظيم (لو ٢٤ : ٤٥ ويو ٢٠ : ٢٥) ؟

بقي علينا ان نناقش في قصة الصلب هذه من وجوه أخرى :—

(١) ان الشريعة الموسوية في مثل حالة المسيح كانت توجب الرجم وليس فيها صلب لاحد وهو حي وانما يعلق المقتول على خشبة (تثنية ٢١ : ٢٢) . اما الشريعة الرومانية فمكان الصلب فيها للعبيد ولقطاع الطريق ونحوهم من ارباب الجرائم الدنيئة . فكيف اذا صلب المسيح وعلى اي شريعة كان ذلك ؟ وكيف طلب اليهود صلبه وانفذه الرومان لهم وهو ليس موجودا في شرائعهم لذلك ؟ وكيف صلب معه « لصان » كما يسميهما متى ومرقس وليس في شريعة الرومان ولا شريعة اليهود صلب للصوص ؟ ! لذلك شك بعض العلماء حتى في اصل هذه القصة . ومنهم ايضا من اطهر بالدلائل التاريخية المعقولة الكذب او المبالغة في بعض قصص اضطهاد النصارى واستشهادهم الكثير في القرون الاولى كما يمكن في تواريخهم

(٢) جاء في الانجيل لوقا أن المسيح قبيل القبض عليه قال لتلاميذه ٢٢ : ٣٦ (الآن من له كيس فليأخذه وكذلك مزود . ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتر سيفا ٣٨ فقالوا يارب هوذا هنا سيفان . فقال لهم يكفي ٣٩ وخرج ومضى

كالعادة الى جبل الزيتون وتبعه أيضا تلاميذه ٤٠ ولما صار الى المكان قال لهم صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة ٤١ وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى ٤٢ قائلا يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس ولكن لتكن لا ارادتي بل إرادتك ٤٣ وظهر له ملاك من السماء يقويه ٤٤ واذ كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الارض الى قوله ٤٩ فلما رأى الذين حوله مايكون قالوا يارب أنضرب بالسيف ٥٠ وضرب واحد منهم عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى) وعلى هذه العبارة ترد عدة مسائل : —

(أولا) إن المسيح أمر تلاميذه بشراء السيوف وحملها للدفاع عنه وأراد واحد منهم أن يقتل عبد رئيس الكهنة ولكن أصابت الضربة أذنه فقطعتها ولم ينهه المسيح عن ذلك الا بعد أن أخطأت الضربة الرجل كما يفهم من متي (٢٦ : ٥١ و٥٢) فكيف يتفق هذا مع قول الاناجيل عنه انه أمر تلاميذه بمحبة الاعداء (مت ٥ : ٤٤) وأنه قال (مت ٥ : ٣٩) « من لطمك على خدك الايمن فحول له الآخر أيضا » فلماذا لم يعمل هو نفسه بأقواله هذه وأراد تلاميذه على حمل السيوف للدفاع عنه ؟ أم كانت هذه الاقوال السلمية في مبدأ امره كما يفهم من انجيل متى قبل ان يقوى فلما قوي قليلا تركها ؟ فماذا كان يفعل لو بلغ من القوة مبلغا يستطيع معه ان يقهر دولة الرومان ؟ وبم يفتخر المسيحيون علينا إذاً ونحن نرى ان المسيح مادعا الى السلم الا وقت ضعفه الشديد ؟ ولمَ يعيبون محمداً صلى الله عليه وسلم لانه حارب اعداءه وقد كان حينئذ قويا شديداً ؟ أو لا يفهم من عبارة لوقا هذه ان المسيح هو الذي اشار عليهم بالضرب بالسيف حينئذ فانه هو الذي امرهم بشرائها وحملها معهم ؟ نعم انه لم يصرح بذلك حينما سألوه « انضرب بالسيف ؟ » ولكن كان سكوته ايعازا خفيا خوفا من اليهود ومن الدولة الرومانية لان الظاهر انه كان عنده أمل في النجاة منهم ولذلك لما تم صلبه على زعمهم يئس وقال « إلهي إلهي لماذا تركتني ؟ » (مت ٢٧ : ٤٦)

« ثانيا » اذا كان المسيح ابن الله الذي نزل من السماء للموت ليرفع خطيئة العالم فلماذا اراد الدفاع عن نفسه ولماذا لم يسلم نفسه لهم طائعا مختارا ؟ وما معنى

هذه الصلاة الطويلة المريضة والالحاح بطلب النجاة وما حكمة ذلك يا ترى وهو يعلم انه لافائدة من هذا كله ولا بد من صلبه الذي جاء لأجله ! !

«ثالثا» اذا كان عبيد الله يقدمون أنفسهم للشهادة في سبيله بكل شجاعة وثبات واقدام فكيف يمكن ان يجبن ابن الله عن مساواتهم في ذلك حتى يتصبب عرقه من شدة الخوف من الموت . وليس في الموت الا انه يعود ثانية الى ابيه فلم كره ذلك يا ترى ؟ ولم هذا الحزن الشديد كما ذكر متى (٢٦ : ٣٧ و ٣٨) ؟

«رابعا» كيف يحتاج ابن الله المتألّه من روح القدس الى ملاك من السماء ليقويه مع ان في ناسوته يوجد أقنومين إلهيين (الابن وروح القدس يو ١ : ٣٢) وهما متحدان به فهل هذا الملك عندهم أقوى من الله ؟

«خامسا» هل من العدل عند النصارى ان ينقذ الله المذنبين (آدم وبنيه) ويصلب ابنه البريء رغم ارادته وهو يستغيث به فلا يغيثه فأين عدله ورحمته ؟ واذا لم يكن عادلا رحيما بابنه فهل مثل هذا الاله يرحم عبيده ويعدل فيهم ؟ ولم هذا الحب الكثير من إلههم لسفك دم الابرياء من قديم الزمان ؟ راجع قصة يفتاح المتألّه من روح الله الذي قتل ابنته الوحيدة البريئة قربانا لله وذكر الله قصته هذه في بعض كتبه ولم يزجر أباها ولم يعاقبه على ما فعل كأن قتلها كان مرضيا عنده تعالى (قضاة ١١ : ٢٩ - ٤٠) لان أباها أصعدها بعد قتلها محرقة له فلعله سر من رائحتها والنيران تأكل جثتها ! ! فلذلك ذكر هذه القصة ولم يذكر ما ينفر منها ليقتدي الناس بيفتاح هذا ! ! (راجع أيضا مقالة القرابين والضحايا في كتابنا «دين الله»)

(٣) يقول انجيل يوحنا ١٩ : ٣١ (ثم اذ كان استعداد فلكي لا تبقى الاجساد على الصليب في السبت لان يوم ذلك السبت كان عظيما ، سأل اليهود بيلاطس أن تكسر سيقانهم ويرفعوا ٣٢ فأتى العسكر وكسروا ساقي الاول والآخر المصلوب معه ٣٣ وأما يسوع فلما جاءوا اليه لم يكسروا ساقيه لانهم رأوه قد مات ٣٤ لكن واحدا من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء ٣٦ لان هذا كان ليتم الكتاب القائل عظم لا يكسر منه ٣٧ وأيضا يقول كتاب

آخر سينظرون الى الذي طعنوه) فاذا كانت هذه القصة حقيقية ووقعت لتتميم نبوات قديمة فكيف لم يشر اليها الثلاثة الأنجيليون الآخرون ؟ وليس هذا فقط بل ان عبارة مرقس (١٥ : ٤٢ـ٤٦) تنافي هذه القصة لان يوحنا (١٩ : ٣٨) يقول ان يوسف أتى إلى بيلاطس بعد ان أمر بكسر سيقان المصلوبين وبعد ان ماتوا فأذن له بأخذ الجثة فكيف اذاً تعجب بيلاطس (حسب رواية مرقس) من موت المسيح بسرعة حينما جاءه يوسف طالبا الجسد ؟ ولماذا سأل قائد المائة قائلا (هل له زمان قد مات ؟) (مر ١٥ : ٤٤) اذا كان حقيقة أصدر أمره بكسر سيقان المصلوبين ورفعهم كما قال يوحنا ؟ فهل بعد هذا الكسر يبقى موضع للعجب ؟ ولا يخفى ان المسيح صلب بين اللصين (يو ١٩ : ١٨) فكيف تخطاه العسكر وكسروا ساقي الاول والآخر ولم يكسروا ساقيه بل كسروا الثالث قبله ؟ فان قيل لانهم رأوه قد مات . قلت إذا كانوا متحققين من الموت فلماذا طعنه أحدهم بالحربة في جنبه ؟ وان لم يكونوا متحققين فما الذي أخرهم عن كسر ساقيه بعد صدور الامر لهم بذلك ؟ ولماذا ترددوا في إطاعة الامر حتى تخطوه الى الثالث وهل من شأن العسكر التردد والتوقف والبحث في مثل ذلك ؟ مع ان الامر صدر لهم صريحا بكسر سيقان الجميع والتعجيل بموتهم ورفعهم عن الصلبان اجابة لطلب اليهود من بيلاطس فما الذي أخرهم عن تنفيذ الامر في الحال ؟ ألا يدل ذلك على أن هذه القصة مصطنعة لتطبيق نبوات قديمة على المسيح كما هي عادة كتبة الاناجيل ؟ (راجع كتاب دين الله ص ٣٣ ـ ٣٦ و ١٠٢)

وكيف يفسرون خروج الدم منه بعد الموت من الوجهة الطبية وما هذا الماء الذي رآه يوحنا خارجا من جنبه كما يقول انجيله (١٩ : ٣٤ و ٣٥) ؟ !

(٤) ذهب بعض علماء الافرنج الى أن المصلوب لم يمت لان مدة الصلب كانت ست ساعات على الاكثر (راجع مرقس ١٥ : ٢٥ ـ ٣٧) وهي غير كافية للموت بالصلب فان المصلوب يموت عادة من يوم الى ثلاثة أيام ولذلك تعجب بيلاطس من هذه السرعة (مر ١٥ : ٤٤) وقال بسبب ذلك أوريجانوس وغيره من آباء الكنيسة القدماء أن موته كان من خوارق العادات وأيضا فانه

لم تسمر الا يديه فقط وربطت رجلاه ولذلك لم يذكر يوحنا الا أثر المسامير في يديه ولم يذكر رجليه (يو ٢٠ : ٢٠ و٢٥ و٢٧) ولم يُرهما المسيح لتلاميذه بحسب هذا الانجيل . وأما عبارة لوقا (٢٤ : ٣٩ و٤٠) فانها تحتمل أن المراد بها أنه أراهم يديه ورجليه ليجسوهما ليعلموا أنه جسم حقيقي لحم وعظم كما قال ليقنعهم أنه ليس روحا وانما أراهم يديه ورجليه دون سائر جسمه لانه يسهل كشفهما دون باقي الاعضاء الاخرى على ان هذه القصة قدردها علماء النقد المحققون (راجع كتاب دين الخوارق في الانكليزية صفحة ٨٣٧ و٨٣٨)

هذا ولم يكن ربط رجلي المصلوب عند الرومانيين وغيرهم بأقل من تسميرهما ان لم نقل انه كان الغالب في الصلب . وفوق ذلك فان عظامه لم تكسر كما قال يوحنا (١٩ : ٣٦) وأما طعنه بالحربة فلم تذكرها الاناجيل الاخرى وقصتها مشكوك فيها كما بينا . واذا صحت فيجوز ان الحربة لم تنفذ الى داخل الجسم وتكون فقط قد قطعت الجلد والشحم وبعض العضلات على ان الفعل اليوناني المترجم في الانجيل بطعن (يو ١٩ : ٣٤) لا يفيد ان الجرح كان غائرا كما يقول علماء هذه اللغة . ثم ان هذه الحادثة تدل على الحياة اكثر من دلالتها على الموت فانه لو كان المصلوب ميتا لما سال منه دم فسيلان الدم منه هو احد الدلائل على انه كان حيا فبعد ان سال منه جزء من الدم بطل الجرف كالمعتاد . والظاهر ان هذه القصة اخترعت قديما لاثبات الموت لجهلهم بعلم الطب اذ ذاك . فلهذه الاسباب كلها قال العلماء ان المصلوب لم يمت حقيقة وانما أغمي عليه اغماء شديدا كما حصل لبولس بعد ان رجم (أع ١٤ : ١٩ و٢٠) فلما أنزل عن الصليب ودُفِنَ بالكفن والكتان (مت ٢٧ : ٥٩) واستراح في القبر وانتعشت روحه بالاطياب الكثيرة التي وضعها له نيقوديموس (يو ١٩ : ٤٠) أمكنه ان يقوم ويخرج من القبر والذي أزال الحجر عن هذا القبر هي الزلزلة التي ذكرت سابقا او ان مسألة الحجر هذه مخترعة لان العادة كانت ان لا يوضع هذا الحجر الا بعد مضي ثلاثة ايام (راجع كتاب دين الخوارق ص٨٣٢) فلما قام المصلوب ومشى قليلا سقط ميتا بسبب ما تحمله من العذاب وانهماك قواه والجوع والعطش مدة طويلة وآلام الجروح والتهابها أو تعفنها

وربما ساعد على ذلك وجود بعض امراض في احشائه لم تعلم أو انه أصابه ذهول فألقى بنفسه من مكان عال أو زلت قدمه فهوى الى غير ذلك من الاسباب المحتملة المتنوعة التي تسبب الوفاة في مثل هذه الحالة ولم يعلم المكان الذي مات فيه فان القبر كان خارج مدينة أورشليم في بعض جبالها ، وبسبب عدم وجود الجثة في القبر نشأت هذه القصص المختلفة عن القيامة

هذا شيء مما يقال في هذه المسألة وهو قليل من كثير مما يقوله علماء أوربا الآن في الدين المسيحي حتى انه ليخيل للانسان انه لا يمضي زمن طويل حتى تخرج اوربا كلها عن النصرانية وليس ذلك بعجيب عند من يعلم ان اكثر العلماء والمفكرين هناك قد خرجوا الآن فعلا عن هذا الدين ونبذوه وراءهم ظهريا والفوا المؤلفات الضخمة في اثبات بطلانه وفساد عقائده كلها كما يقولون ولا أدري لماذا يفتخر المبشرون بأوربا وعلمها بين المسلمين مع أنه قل أن يوجد بين الافرنج عالم مستقل الفهم والعقل يعتقد بشيء من عقائد النصرانية فالأولى بجماعة المبشرين بدل نشر دينهم خارج أوربا ان يحصنوه في داخلها ضد غارات هؤلاء العلماء المحققين والا خرجت أوربا كلها عن المسيحية يوما ما وحينئذ لا يجديهم افتخارهم بها وبعلمها ومدنيتها نفعا

هذا واذا وجد في بعض كتابات مؤرخي الوثنيين الاقدمين ان المسيح صلب كما في تاريخ تاسيتوس (Tacitus) المؤلف نحو سنة ١١٧ ميلادية فلا يعتد بقوله لوجوه :—

(١) أن يكون تاسيتوس أخذ ذلك من الاشاعات الحاصلة في ذلك الوقت وجمهورها يؤيد ذلك كما قلنا ، ولو لاحظنا احتقار تاسيتوس للنصارى في ذلك الوقت لما استغربنا منه هذا القول الذي صدر منه بدون تحقيق ولا تمحيص لعدم عنايته بهم فهو كأقوال نصارى أوربا في القرون الوسطى في محمد (ص) ودينه فقد كانت كلها مبنية على الاشاعات الكاذبة والاختلاقات

ومما يدلك على صحة قولنا في تاسيتوس هذا وغيره من مؤرخي الوثنيين أنهم كانوا يأخذون بالاشاعات والاكاذيب المنتشرة حولهم ويحشرونها في تواريخهم

بدون تمحيص ولا بحث ، أنه دُوِّن في تاريخ اليهود خرافات عديدة مضحكة ظنوها حقائق ثابتة كما قالت دائرة المعارف الانكليزية (مجلد ١٣ صفحة ٦٥٨) والحق يقال ان الرومانيين لم يهتموا بالمسيح أدنى اهتمام لانه لم يفه ببنت شفة يفهم منها أنه يريد الخروج عليهم وكانت كل أعماله قاصرة على اصلاح حال أمته دينيا وأدبيا ولم يتبعه الا بعض فقراء اليهود وأصاغرهم فلذلك لم يلتفت اليه أحد من غير اليهود فحادثة الصلب كانت من المسائل المحلية الداخلية لهم لم يهتم بها أحد من حكام الرومان خارج أورشليم ولذلك صدر امر بيلاطس فيها بدون استئذان رومية كما يفهم من جميع الاناجيل (١) والراجح عند العلماء ان بيلاطس لم يبلغها رسميا للامبراطور (طيباريوس) في رومية (راجع كتاب « شهود تاريخ يسوع » ص ٢٣) لانها كانت من المسائل الصغيرة القاصرة على اليهود وكانوا غير خاضعين لشرائع الرومان في مسائلهم الدينية . فغاية الامر ان عيسى وهو أحدهم حكم عليه مجمع السنهدريم اليهودي بالموت . وهو لم يكن رومانيا حتى تهتم به الرومان

---

(١) جاء في كتاب « حكايات من العهد الجديد » لمؤلفه (جولد) الانكليزي ص ١٢٦ (أن رؤساء مدينة أورشليم لو كانوا اهتموا بأمر المسيح اذ ذاك لارسلوه الى رومية أو لانفقوا فيه العقوبة وحده) اه فاذا كانوا عاملوه معاملة اللصوص وصلبوه بينهم فهل أبلغ بيلاطس أمر اللصين أيضاً الى رومية ؟ إن كان ذلك فأين ما يؤيده من تواريخ الرومان القديمة التي ذكرت حادثة الصلب لتعيير النصارى وتحقيرهم كما يقولون ؟ فأي تحقير أبلغ من ذكر صلب الههم بين اللصوص اذا كانوا سمعوا به ؟ وان لم يكن بيلاطس بلغ خبر اللصين الى رومية فلماذا اذاً أبلغ خبر المسيح اليها مع أنه باجماع المؤرخين لم ينظر اليه بأكثر مما ينظر به الى آحاد اليهود وضعفائهم اذ لم يأت المسيح بأقل شيء يمس الرومان ودولتهم مطلقاً !!

فان قيل اذا كانت معجزات المسيح التي ذكرها القرآن حقيقية فلماذا لم يذكرها مؤرخو اليهود والرومان فيما ثبت أنهم كتبوه من التاريخ ؟ قلت لان جل هذه المعجزات. وأعظمها كان يعملها عليه السلام بعيداً عن أورشليم في بعض القرى الصغيرة أو الخلوات بين تلاميذه وبعض عامة اليهود وما كان يجيب أحداً منهم من طلبه حينما يقترحون عليه عمل المعجزات (راجع مثلا يو ٢ : ١٨ — ٢٠ و ٦ : ٣٠ — ٤٠ ومر ٨ : ١١ و ١٢ ولو ٢٢ : ٦٤ وغير ذلك) فلم ير الرؤساء من اليهود والرومان آياته وانما كانوا يسمعون عنها من عامتهم حتى أن أكبر معجزاته وهي احياء لعازر بعد دفنه بأربعة أيام لم يروها بأنفسهم وانما سمعوا عنها ممن آمن به لأنه حلها من عامة اليهود (يو ١١ : ٤٥ — ٤٧) وكذلك هيرودس كان يسمع عن آياته وما رأى شيئا منها بنفسه حتى لم يجبه المسيح عما طلب منه (لو ٢٣ : ٨ و ٩) وما وراء كمن سمع ولو كان مؤمناً فما بالك اذا كان السامع كافراً به فيذهب في تأويل ما سمع مذاهب شتى ولا يصدق =

وكان لا بد لهذا المجمع ان يحصل على تصديق الحاكم الروماني في بلادهم لكي يقدر على تنفيذ ما حكم به رسميا ، نعم وكان الرومان على الحياد بالنسبة لمسائل اليهود الدينية الداخلية الا أنه كان لا بد من تصديقهم على مثل هذه العقوبات التي يريد اليهود تنفيذها في شؤونهم الدينية . شأن الامم الغالبة مع الامم المغلوبة كما هو مشاهد في هذا العصر . (راجع كتاب رينان في حياة المسيح ص ١٣٤) فلم يكن ثم باعث لاهتمام الرومانيين بهذه المسألة حتى لو بلغ الحكومة خبرها رسميا بعد وقوعها ولذلك كان مؤرخوهم يجهلون تاريخ المسيح ولم يذكره الا قليل منهم عرضا في كتبهم والغالب ان اهل رومة لم يسمعوا به الا بعد ان دخلت النصرانية ايطاليا وكانوا يحتقرون النصارى احتقارا شديدا ولا يهتمون بهم ولا يعرفون الفرق بينهم وبين اليهود ولا شيئا من اخبارهم الصحيحة ولذلك يقول تاسيتوس إن لليهود والنصارى إلها رأسه رأس حمار ، ويقول سويتونيوس المؤرخ الروماني « Suetonius » في أوائل القرن الثاني « ان اليهود (يريد النصارى) طردهم كلوديوس من رومة لانهم كانوا يحدثون شغبا وقلاقل فيها بحرضهم عليها دائما « السامي او الحسن » (Chrestus) يريد « المسيح » » اه وكان يظن ايضا ان المسيح عليه السلام كان مقيما في رومية في ذلك الزمن (١) فاذا كان هؤلاء

= وهؤلاء المؤرخون كانوا من خواص اليهود والرومان ولم يروا شيئاً بانفسهم فاكانوا يصدقون مايسمعون ، ولا ينتظر منهم أن يدونوا في تواريخهم مالا يعتقدون

أما معجزة خلق (أي تصوير وترتيب) قطعة من الطين كهيئة الطير وصيرورتها طيرا باذن الله والتكلم في المهد فوقعتا في صغره وفي مدينة الناصرة وهي قرية في الجليل صغيرة حقيرة عند اليهود ولم يكن فيها أحد من كبار الرجال أو مشاهير الكتاب فلذلك لم يروها أحد غير بعض أتباعه الجليليين فذكرتا في انجيل توما وانجيل الطفولية وغيرهما من الاناجيل غير القانونية عند النصارى الآن ونسيها الآخرون منهم لبعد زمنها ولوقوعها قبل ان يشتهر أمر عيسى بين الناس

وأما قصة تفتح القبور وقيام كثير من أجساد الراقدين ودخولهم مدينة أورشليم وظهورهم للناس كما قال متى (٢٧ : ٥١ — ٥٤) فانما أنكرناها لانهم ادعوا أنها وقعت في أعظم مدن اليهود حيث يوجد كبار الرجال منهم ومن الرومان ومع ذلك لم يروها أحد غير متى ولم يروها انجيل آخر مما كتبه نفس أتباع المسيح مع القول بأنها وقعت بعد أن ذاع صيته وكان له أتباع كثيرون

(١) لاحظ الوجه الثاني الآتي

المؤرخون الى أوائل القرن الثاني لم يعلموا إن كان المسيح وجد في رومية أو لم يوجد ولا حقيقة عقيدة اهل الكتاب في « الله » فكيف يعول النصارى على شهادتهم ؟

فقيمة هذه التواريخ الوثنية عن مؤسس النصرانية عليه السلام هي كقيمة كتابات بعض مؤلفي الافرنج في القرون الوسطى الذين كانوا يكتبون عن المسلمين انهم يعبدون « ماهوم » أو غير ذلك من الاسماء وأن له صنما عندهم من ذهب في مكة او في أورشليم . ومنهم من زعم انه رأى هذا الصنم بعينيه الخ ما نشر من خرافاتهم وهذياناتهم فكذلك كانت كتابة الوثنيين عن المسيح والمسيحيين . فهي لا قيمة لها ولا يجوز ان يعتبر شيء منها تاريخا صحيحا فانها كلها مبنية على الاشاعات والاختلاقات والاوهام والاكاذيب بدون ان يكلفوا انفسهم اقل عناء في معرفة الحقيقة . ولم يكن للنصارى اذ ذاك شأن عندهم حتى يلتفتوا للبحث في تاريخهم ولذلك جهلوا حتى اسمهم واسم رئيسهم « يسوع » (١) عليه السلام فاذا قالوا انه صلب او عبده جميع النصارى من دون الله او غير ذلك فهي اقوال لا يهتم بها احد من المسلمين فانها صادرة عن قوم لا يفهمون من امر النصارى شيئا وربما قاسوا بعض معتقداتهم على معتقدات أنفسهم ونظروا اليها بهذا المنظار وفهموها خطأ فظنوا أنها إما خرافات وخزعبلات كما قالوا في كتبهم عنها أو انها تحوير لعبادتهم للآلهة الرومانية قام به المتنصرون منهم أي انهم أهوا رئيسهم وعبدوه بدل تلك الآلهة الرومانية (٢) . وما كانوا ليفهموا من النصرانية أكثر من هذا أو نحوه كما كان يظن الاوروبيون أن المسلمين يعبدون محمدا عليه السلام وجهلوا اسمه كما جهل الرومان اسم (يسوع) وجعلوا لنا ثلاثة آلهة أو (ثالوثا) قياسا على ثالوثهم (٣)

(١) حاشية اذا سلم أن بيلاطس أرسل عن صلب المسيح تقريرا الى رومة اطلع عليه تاسيتوس كما يدعون فلا يعقل أن بيلاطس لا يذكر في هذا التقرير اسمه (يسوع) فكيف اذا جهل تاسيتوس وغيره هذا الاسم كأنه ما سمع به أقلم يره في هذا التقرير المزعوم ! !

(٢) لما دخل الرومان وغيرهم في المسيحية جعلوا يوم الاحد (وهو يوم عبادة الشمس أعظم آلهتهم) العيد الاسبوعي لهم بدل (سبت) التوراة وجعلوا يوم ٢٥ ديسمبر (وهو يوم ميلاد الشمس أيضا) يوم الميلاد للمسيح عليه السلام فحملوا بذلك وبغيره وثنيتهم الى النصرانية (راجع تاريخ جولد مجلد ١ ص ٥٤)

(٣) راجع كتاب الاسلام تعريب فتحي باشا زغلول وكيل نظارة المعارف بمصر

والخلاصة أن أمثال هذه التواريخ المبنية على مثل هذه الاوهام والجهل لا تفيد النصارى شيئاً وهي لاقيمة لها بالمرة فلا يصح الاحتجاج بها على المسلمين. هذا اذا كانت خالية من التحريف فكيف وما خلت منه كما في الوجه الآتي

(٣) إن هذه العبارة المذكورة في تاريخ تاسيتوس قال فيها كبار العلماء من المحققين في أوربا إنها إما أن تكون مدسوسة عليه أو محرفة بالزيادة . (راجع كتابي « شهود تاريخ يسوع ص ٢٠-٥٠ » وكتاب « ملخص تاريخ الدين » لمؤلفه جولد (Gould) ص ٢٢ مجلد ٣) وقد بين هؤلاء العلماء دلائلهم على صحة دعواهم هذه ولكن يطول بنا إيرادها في مثل هذه المقالة . والحق أن المؤلفات التي وصلتنا من طريق النصارى لا يوثق بها لكثرة تعودهم على تحريف جميع ما نقلوه من الكتب التي وصلت الى أيديهم سواء كانت دينية أو تاريخية أو غير ذلك كما يعترف بذلك علماء النقد منهم الآن فكم من عبارة أظهروا تحريفها أو دسها . وكم من كتب أظهروا وضعها واختلاقها ونسبتها إلى غير كاتبها حتى لم يسلم من عملهم هذا الكتب التي توجد عند غيرهم من الامم كتاريخ يوسيفوس الموجود عند اليهود أيضاً وقد بينا ذلك في كتاب « دين الله » (صفحة ٧٩ و ٨٠ منه) فمنذ القرن الرابع حينما صارت دولة الرومان اليوم تصرفوا في كتبهم وفيما وصلهم من كتب غيرهم ما شاءوا وشاءت أهواؤهم ولم يخشوا حسيبا ولا رقيبا

وقد بين العلامة اندريس (Andresen) أن أصل عبارة تاسيتوس هذه في أقدم النسخ المخطوطة بالبد مغاير للموجود في النسخ المتأخرة في كلمة (Chrestianos) التي حرفوها الى (Christianos) والفرق بين الكلمتين عظيم فان الاولى بمعنى (الطيبين) والثانية بمعنى « المسيحيين » وكانت الكلمة الاولى (Chrestianos) تطلق على عبّاد الاله المصري (Chrestus) المسمى أيضاً أوزيريس (Osiris) وكان عبّاده في رومية إذ ذاك كثيرين من عامة الرومان ومن مهاجري المصريين وهم الذين كان يتهمهم الرومانيون الآخرون ويضطهدونهم كثيراً لاسباب دينية وسياسية ولشدة كرههم لاولئك المصريين واحتقارهم لهم لم يمكنهم أن يميزوا بينهم وبين اليهود المصريين المهاجرين اليهم من الاسكندرية وغيرها واعتبروهم كلهم سواء

في الجنس والدين فلما احترقت رومية نسبوا الحريق اليهم فحل بهم ما حل من اضطهاد نيرون قيصر الرومان (Nero) كما فصله تاسيتوس في تاريخه فالظاهر أن بعض النصارى ظن أن تاسيتوس يريد بقوله (Chrestianos) المسيحين أي (Christianos) فأضاف إلى تاريخه هذه العبارة للتفسير « ان هذا الاسم (أي (Chrestianos) منسوب الى اسم المسيح (Christ) الذي صلب بأمر الوالي بيلاطس في عهد الامبراطور طيباريوس (Tiberius) » مع أنه نسبة الى (Chrestus) إله المصريين ولما لاحظ النصارى هذا الخطأ حرفوا اللفظ الوارد في كتابة تاسيتوس من (Chrestianos) الى (Christianos) لتصح النسبة الى المسيح (Christ) ولذلك اختلفت النسخ الحديثة عن النسخ القديمة في هذا اللفظ كما حققه أندريس على ماسبق وعليه فتاسيتوس لم يذكر المسيح في كتابه مطلقا . و (Chrestus) المذكور هنا هو اسم آخر لأوزيريس كما تقدم وكان يطلق أيضا على رئيس كهنة هذا المعبود بل وعلى بعض موالي الرومانيين وهذا يفهمنا المعنى الحقيقي لقول سوتيونيوس (Suetonius) السابق « إن اليهود طردهم كلوديوس (Claudius) من رومية بسبب ما يحدثونه من الفتن بتحريض الحسن أو السامي (Chrestus) » وهو على هذا أحد رؤساء الكهنة أو شخص آخر سمي بهذا الاسم . وهو تفسير معقول ولولاه لكان سويتونيوس لا يعرف الفرق بين اليهود والنصارى ويزعم أن المسيح وجد في رومية وهو خطأ يبعد جدا أن يقع فيه مؤرخ مثله . فالحق أنه لم يذكر عيسى عليه السلام كما لم يذكره تاسيتوس على ما بينا ولولا تحريف النصارى لكتبهما لفظا ومعنى لما فهم منهما غير ما قررناه ولما توهم أحد وقوع سويتونيوس في هذا الخطأ الفظيع والجهل الفاضح الذي ينسبونه اليه . ولما انتشرت المسيحية في رومة بقي الرومان مدة لا يفرقون بين كلمة (Chrestians) و (Christians) وكلمة (Chrestus) و (Christus) وظنوا أن المسيح هو معبود المصريين (Osiris) القديم . فحصل بسبب ذلك هذا الخلط والخبط حتى توهم أيضا يوستينوس (Justin) الشهيد النصراني الشهير المتوفى في القرن الثاني أن هناك علاقة بين اسم المسيحيين (Christians)

وكلمة (Chreston) أي حسن أو طيب كما في كتاب جواد المذكور (ص ١٩ من المجلد ٣)

(٣) اذا سلم أن تاسيتوس أخذ خبر الصلب من مصدر رسمي في رومية كما يدعون فنحن لانقول ان بيلاطس ورؤساء اليهود كانوا يعرفون الحقيقة بل نقول انهم كانوا مخدوعين بل ربما كان العسكر الذين قبضوا على يهوذا بعد فرار المسيح أيضا مخدوعين إذ يجوز انهم أخذوه الى السجن لالمجرد تخليص أنفسهم من العقاب باتهامهم أي شخص كان بل لاعتقادهم أنه هو عيسى وساعدهم على هـذا الظن شدة شبه يهوذا به وجهلهم بطرق تحقيق الشخصية « وهو العلم الذي توسع فيه الآن » وكذا عدم شدة مقاومة يهوذا لهم لتصميمه على قتل نفسه من قبل القبض عليه كما بينا فاذا قال لهم مرة أو مرتين حينما قبضوا عليه انه ليس هو عيسى ظنوا أنه كاذب وانه يريد الفرار منهم مرة أخرى فلم يلتفتوا الى قوله

ومما ساعد على جهل الناس حقيقة المصلوب حتى انخدعوا أن هيرودس غير ملابس المسيح وألبسه لباسا أبيض لامعا استهزاء به (لو ٢٣ : ١٠) ورده الى بيلاطس فوضع بيلاطس أيضا اكليلاً من شوك فوق رأسه وألبسه ثوب أرجوان وخرج به هكذا وحاكمه أمام اليهود (يو ١٩ : ٢ — ١٦) ولما حكم عليه بالصلب أخذه العسكر الى داخل دار الولاية وألبسوه رداء قرمزيا ووضعوا اكليلاً من شوك على رأسه (مت ٢٧ : ٢٨ و ٢٩) وكل هذه المظاهر المختلفة تغير هيئته امام من رآه خصوصا من لم يعرفوه معرفة جيدة وتساعد على الوقوع في الخطأ . وفي وقت الصلب جردوا المصلوب عن ثيابه كلها وبقي عريانا ولا يخفى أن من لم يتعود رؤية شخص وهو عريان لا يسهل عليه معرفته بعد تجريده من ملابسه « أنظر مر ١٥ : ٢٤ — ٢٧ ومتى ٢٧ : ٣٥ و ٣٦ »

وكيف يعجبون من قولنا ان النساء اللاتي كن واقفات بعيدًا عنه وقت الصلب لم تعرف الحقيقة ولا اللذين دفناه وهما ما كانا يعرفانه حق المعرفة كما بينا — كيف يعجبون من ذلك ولا يعجبون من أن مريم المجدلية التي كانت تعرفه حق المعرفة ومختلطة به أتم الاختلاط لم تعرفه وقت القيامة مع انها كانت واقفة بالقرب منه

وكان يكلمها « يو ٢٠ : ١٥ » وكذلك بعض التلاميذ الآخرين ما عرفوه مع انه كان يمشي معهم ويحادثهم ويأكل معهم « لو ٢٤ : ١٣ — ٣٤ » وكان الشك فيه ملازما لهم كلما رأوه « مت ٢٨ : ١٧ ولو ٢٤ : ٣٧ — ٤٢ ويو ٢٠ : ٢٧ » ولماذا تغير شكله وما هو السبب في ذلك ؟ ولماذا لم يبق على صورته الاصلية حتى يقنع تلاميذه بدل الشك فيه مرارًا !! اما يكفي انه لم يره احد غير تلاميذه فهل بعد ذلك يشككهم مرارًا في نفسه بسبب تغير هيئته « مر ١٦ : ١٢ » ثم يحاول اقناعهم بصعوبة زائدة حتى بقي بعضهم شاكا في الجليل بعد ان رأوه في أورشليم. أنظر متى « ٢٨ : ١٧ »

ولا تنس أن القبض على المسيح ومحاكمته أمام مجمع اليهود ورؤسائهم كانا ليلاً ولا يخفى على أحد مبلغ طرق الاضاءة في تلك البلاد وتلك الازمنة وكان ذلك أكبر وقت قضاه المسيح أمام اولئك الرؤساء. أما محاكمته في النهار فكان وقتها قليلا جدا وكان يختلي به بيلاطس فيها مرات (أنظر يوحنا ١٨ : ٣٣ — ١٩ : ١٦) فضاع بذلك اكثر هذا الوقت القصير أيضا وكان المسيح — كلما خرج أمام اليهود في وقت هذه المحاكمة — لابسا ملابس السخرية والاستهزاء (يو ١٩ : ٥) كما بينا وهي طبعا غير ملابسه العادية ولا بد أنها تغير شكله وعليه فكل هذه الظروف تساعد على وقوع الخطأ والاشتباه

ومما يؤيد قولنا بهروب المسيح من السجن ويقرب ذلك من عقول النصارى ماجاء في انجيل يوحنا وهو يدل على قدرته على الاختفاء والافلات من أيدي الناس بطرق عجيبة جدا خارقة للعادة قال ٨ : ٥٩ (فرفعوا حجارة ليرجموه . أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازا في وسطهم ومضى هكذا) أي بدون أن يروه وقال ١٠ : ٣٩ (فطلبوا أن يمسكوه فخرج من أيديهم) فلم لايجوز أن يكون خرج من أيدي الحراس كما كان يخرج من أيدي اليهود على ماقال الانجيل ولم يره أحد ؟ (راجع أيضا لوقا ٤ : ٢٩ و ٣٠)

ومن الجائز أنهم لما لم يجدوه وخرج من أيديهم واختفى بهذه الكيفية التي ذكرتها الاناجيل وتحققوا من عدم وجوده بالمدينة خافت الحراس من القتل

وارتبكوا وخاف اليهود أن يؤمن به كثير من الناس فأخذوا واحدا واحدا غيره من المسجونين يشبهه أو لا يشبهه باتفاقهم مع العسكر وربما رشوهم بمال كثير حتى لا يبوحوا لأحد بالسر مطلقا (أنظر مت ٢٨ : ١٢) وصلبوا هذا الرجل خارج المدينة وأفهموا الناس أنهم صلبوا المسيح وكان المسيح في ذلك الوقت قد ذهب الى الجليل أو غيره هاربا منهم وخوفا (أنظر يو ٧) ومن هناك رفع الى السماء فلم يعثر عليه أحد كما رفع أخنوخ (تك ٥ : ٢٤) وايليا (٢ مل ٢ : ١١ و١٧) وقد منع اليهود الناس من الاقتراب من المصلوب لئلا يعرفوا الحقيقة. وأيضا كان من رأيهم أن هلاك واحد من الشعب خير من هلاك الامة كلها على حسب زعمهم (يو ١١ : ٥٠) فلا يبعد أن واحدا من رؤساء الكهنة قدم نفسه لذلك العمل كما يفعل بعض الناس للآن في زمن الحروب وغيرها . ويحتمل أيضا ان هذا الذي أخذوه كان أحد المحكوم عليهم بالاعدام كباراباس (لو ٢٣ : ١٩) الذي قال علماؤهم انه كان يسمى (يسوع) أيضا في أقدم تراجم المسيح فحذف النصارى هذا الاسم منها (راجع دائرة المعارف الانكليزية مجلد ١٣ صفحة ٦٥٦) . ونظرا الآن هذا الرجل كان حكموا عليه بالاعدام على ما يظهر وكان اسمه يسوع فلما صلبوه ظن أنه صلب لاجل ما حدث منه من القتل والفتنة وكلما نادوه باسمه لم يخطر على باله أنهم أقاموه مقام يسوع المسيح الذي ظنه الناس أنه هو المصلوب وبذلك تحقق قول المسيح لليهود (يو ٧ : ٣٣) (أنا معكم زمانا يسيرا بعد ثم أمضي الى الذي أرسلني ٣٤ ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا) واستجاب الله دعاءه برفع كأس الموت عنه (مر ١٤ : ٣٥ — ٤٢) والا فكيف يعقل ان الله يرد دعاء مثله ؟ راجع ايضا يوحنا ١٦ : ٣٢ و٣٣

وعلى هذا الوجه يكون الذين كتبوا الاناجيل انما لم يعرفوا حقيقة المسألة فكتبوها كما شاع في ذلك الوقت واشتهر عند اكثر الناس

وبعد الصلب جاء يوسف ونيقوديموس وهما يهوديان من اعضاء مجلس السنهدريم واخذا الجثة بأمر رؤساء الكهنة واخفياها عن اعين اتباع المسيح خوفا من ان يعرفوا الحقيقة فتظاهرا بأنهما من اتباع المسيح في السر (يو ١٩ : ٣٨

و ٣٩) ليمنعهم من دفنه بأنفسهم واخذوا الجثة ووضعوها اولا في قبر ولما ذهب كل من كان واقفا من الناس نقلوها الى موضع آخر لم يعلمه احد

ولما شاعت إشاعة القيامة واعتقدها بعض الناس كانت اولا قاصرة على التلاميذ كما سبق ولم يجاهروا بها امام اليهود خوفا منهم (يو ٢٠ : ١٩ و ٢٦) وبعد نحو خمسين يوما كما في سفر الاعمال (٢ : ١ و ١٤) بدءوا يجهرون اليهود باعتقادهم هذا . ولكن في ذلك الوقت كانت جثة المصلوب قد تغيرت جميع معالمها بسبب التعفن الرمي ولا يمكن لليهود ان يحضروها بعد اخفائهم لها واذا احضروها فلا يقنعهم احد ولا يمكن ان يعرفها فكان من العبث ان يحاول احد اقناعهم بذلك (١) . ولذلك سكت رؤساء اليهود عن مثل هذه الحجة التي تظهرهم بمظهر العاجز المتحير وظنوا ان احسن طريقة لاسكات النصارى هي استعمال القسوة والاضطهاد لامثل هذه المناقشة التي لا طائل تحتها . وربما اشاع بعض عامة اليهود في ذلك الوقت فكرة سرقة تلاميذ المسيح الجثة من القبر لانهم لم يعرفوا الحقيقة . ولا يبعد ان بيلاطس نفسه دخلت عليه الغفلة من رؤساء الكهنة والعسكر ولم يعرف هو ايضا الحقيقة فانه كان يحب المسيح كثيرا هو وامرأته (متى ٢٧ : ١٩ و ٢٤) فكان هؤلاء الرؤساء يخافون ان يؤمن به وخصوصا اذا تحقق ان المسيح افلت من ايديهم واجتاز في وسطهم بدون ان يروه كما يقول الانجيل بعد ان كان بيلاطس يسعى في خلاصه منهم بنفسه فلم يقدر (مت ٢٧ : ١٧ — ٢٥)

ولنا أن نسترسل في هذا الوجه ونقول كما قال متى ان المسيح بعد ذلك عاد الى بعض تلاميذه لما ذهبوا الى الجليل وأخبرهم بحقيقة المسألة فبعضهم صدق كلامه وأنه هو وبقي البعض الآخر شاكا (مت ٢٨ : ١٧) متمسكا بما ذهب اليه أولا من حصول الصلب له والقيامة من القبر . أما الذين صدقوا فمن شدة حيرتهم

(١) حاشية : هذا اذا سلمنا صحة ما جاء في سفر الاعمال . ولكن الاظهر عندنا أن النصارى لم تجاهر بدعوى القيامة أمام المخالفين لهم ولم يدعوهم اليها علانية الا في القرن الثاني للمسيح ولذلك لم يرد في تاريخ من التواريخ القديمة لليهود أو الرومان أو غيرهم أن النصارى كانت تقول تلك العقيدة أو تدعو الناس اليها جهرا في تلك الازمنة الاولى فكيف لم تذكر التواريخ ذلك ولو على سبيل الاستهزاء والسخرية وقد كان عدد المسيحيين اذ ذاك في العالم مما يستحق الذكر كما يقولون ؟ !

ودهشتهم لم يفهموا منه جميع تفاصيل القصة كما لم يفهموا كلامه في أثناء حياته عن موته وقيامته على ما سبق بيانه مع أنهم لم يكونوا إذ ذاك في حالة من الحيرة والدهشة كهذه ولذلك فاتهم بعض أشياء من هذه القصة فاختلفوا في تصويرها للناس ومن ذلك نشأت فرق النصارى القديمة التي أنكرت الصلب وقالت ان المصلوب واحد آخر غير المسيح لم يتفقوا على تعيينه وقال بعضهم انه سمعان القيرواني الذي تقول الاناجيل انه حمل الصليب (مت ٢٧ : ٣٢) وذلك مثل طائفة الباسيليديين « Basilidians » كما ذكره جورج سيل الانكليزي في ترجمته للقرآن الشريف في سورة آل عمران صفحة ٣٨

فان قيل ولماذا لم يظهر المسيح نفسه لليهود حينئذ ويكذبهم في قولهم بصلبه ؟ قلت لعله خاف منهم (يو ٧ : ١ و١٠ و١١ : ٥٤ و١٢ : ٣٦) على أن هذا السؤال وارد على النصارى بأولى بأن يقال لماذا لم يظهر نفسه كما وعد للمنكرين له بعد قيامته حتى يؤمنوا به وحتى لا يشك فيه نفس تلاميذه ؟ فما يقولونه في الجواب عن ذلك هو عين جوابنا نحن أيضا

هذا واذا لم يثبت أن المسيح عاد للتلاميذ وأخبرهم بالحقيقة فلا غرابة في ذلك لانه كان قد لمح لهم بها من قبل حادثة الصلب فقال لهم (يو ١٦ : ٣٢ هو ذا تأتي ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد الى خاصته وتتركونني وحدي وأنا لست وحدي لان الآب معي ٣٣ قد كلمتكم بهذا ليكون لكم في سلام . في العالم سيكون لكم ضيق . ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم) وقال أيضا (يو ١٣ : ٣٣ ستطلبونني وكما قلت لليهود (ص ٧ : ٣٤) حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا أقول لكم انتم الآن) ولكن الناس قد نسوا ذلك أو شكوا فيه او لم يفهموه كما لم يفهموا كثيرا من كلامه الآخر (يو ٢١ : ٢٢ و٢٣ و٢ : ١٩ ـ ٢٢ ولو ١٨ : ٣٤) الخ وكيف يتفق قوله (ان الاب معي) مع قول المصلوب (مت ٢٧ : ٤٦ إلهي إلهي لماذا تركتني ؟) فالحق ان الله ما تركه بل رفعه اليه ونجاه من ايدي اليهود (راجع ايضا كتابنا دين الله ص ١٠٠ ـ ١٠٣) وربما انه بعد

فراره منهم ذهب الى الهند كما كان يهرب من أورشليم مرارًا خوفًا من اليهود (أنظر مثلا يو ١٠ : ٣٩ ـ ٤٢ و ١١ : ٥٣ ـ ٥٧) وقد بين ذلك الاستاذ صاحب المنار في تفسيره واستدل على ذلك بروايات الهنود و بوجود قبر لشخص جاءهم منذ التاريخ المسيحي واسمه (يوزاسف) وهو يقرب من اسم المسيح (يسوع) تعريب (يوزس) « Iesous » اليوناني ومنه يسس الانكليزي « Jesus » الخ ويقال هناك ان اسمه الاصلي (عيسى صاحب)

وعليه يكون المسيح مات هناك بعد ان عاش مدة قليلة في راحة وهناء ودفن ولم يرفع بجسمه الى السماء حيا كما يقول كثير من المسلمين والنصارى الآن ويكون المراد بالرفع في القرآن الرفع المعنوي أو الروحاني . وربما انه هناك لم يؤمن به أحد أو آمن به قليلون انقرضوا أو اندمجوا في باقي اهل الهند وتلاشت عقائدهم في عقائد أولئك . ومما يؤيد القول بعدم ايمان أحد به انه لم يرسل إلا إلى بني اسرائيل ولم يدع احدا الى دينه سواهم (مت ١٠ : ٥ و ٦ و ١٥ : ٢٤) والى هذه الهجرة الهندية قد اشار القرآن الشريف كما قال الاستاذ السيد صاحب المنار بقوله (وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين) فأمه هاجرت معه ولذلك لم يقف النصارى على شيء يعتد به من تاريخها بعد حادثة الصلب باليقين

ومما يزيدك وقوفا على اضطراب الاناجيل وخطأها في هذه المسألة وغيرها اكثر مما تقدم ان انجيل يوحنا (وهو متأخر عنها فلذا تمت فيها العقائد اكثر) يقول ان يحيى بن زكريا كان يعتقد ان عيسى هو حمل الله الذي يرفع الخطية عن العالم (يو ١ : ٢٩ ـ ٣٥) مع ان الاناجيل الاخرى قالت انه وهو في السجن في آخر حياته لما سمع من تلاميذه عن اعمال المسيح ارسل اليه اثنين منهم يسألانه (هل هو المسيح المنتظر أم ينتظر غيره ؟) (راجع لوقا ٧ : ١٨ ـ ٢٣ ومتى ١١ : ٢ ـ ٦) ولا ادري كيف يتفق هذا مع اختراعات انجيل يوحنا فانظر وتعجب !!

ومن خطأ الاناجيل قول متى (٢٣ : ٢٣) ان الكتبة والفريسيين كانوا يدفعون العشر عن النعنع والشبث والكمون مع أن مثل هذه الاشياء ما كان يدفع عنها شيء (راجع كتاب شهود تاريخ يسوع ص ٢٣٨) وقال هذا الانجيل أيضا عن المسيح

إنه قال إن اليهود قتلوا زكريا بن برخيا بين الهيكل والمذبح (مت ٢٣ : ٣٥) مع أن الذي قتلوه هو زكريا بن يهوياداع كما في سفر أخبار الايام الثاني (٢٤ : ٢٠ و ٢١) وأما ابن برخيا (أو باروخ) فهذا قتل بعد المسيح حينما حاصر الرومانيون أورشليم كما ذكره يوسيفوس في كتابه (تاريخ حرب اليهود) وهذا مما يدل على خبط الاناجيل وخلطها في حوادث تاريخ المسيح فكيف يطمئن الانسان الى رواياتها أو يثق بشيء منها مع امتلائها بالغلط والتناقض الذي بيناه مرارا . وسنكتب ان شاء الله قريبا شيئا عن تاريخ هذه الاناجيل وعن بولس مؤسس المسيحية الحالية الحقيقي

فان قيل : الا ترى ان وقوع الصلب بهذه الكيفية التي شرحتها يشكك الناس في صدق عيسى أنه هو المسيح المنتظر فانهم كانوا يتوهمون انه يرد الملك الى اسرائيل (أع ١ : ٦) ؟ قلت : اذا كان الاعتقاد بصلبه لم يشككهم جميعا في ألوهيته فكيف إذاً يشككهم في صحة مسيحيته ؟ وأي ضرر إذا شككهم في أوهامهم التي كانوا بالغوا فيها بشأن مسيحهم الذي كانوا ينتظرونه ؟ وهل نسيت أن باب التأويل عند الناس في مثل هذه المسائل واسع فانهم يرجعون الى أوهامهم فيصورونها والى نبواتهم فيأولونها ؟ ولذلك تراهم أولوا صلبه بأن ذلك انما فعله بارادته رغبة منه في خلاص البشر مع أن المسيح كان يلح في طلب النجاة من الله (متى ٢٦ : ٣٨ – ٤٤ ولو ٢٢ : ٤١ – ٤٥) وقالت أناجيلهم انه قال (إلهي إلهي لماذا تركتني) وهو يدل على اليأس والقنوط من استجابة دعائه (راجع أيضا مزمور ٢٢ خصوصا عدد ١٩ و ٢١ منه) . وأولوا فقدان جثة المصلوب بأنه قام من الموت !! وأولوا ملك المسيح الذي كانوا ينتظرونه بأنه سيأتي قريبا (رؤ ٢٢ : ٧ و ١٠ و ١٢ و ٢٠ ومت ١٦ : ٢٧ و ٢٨ و ١٠ : ٢٣ ورؤيا ٣ : ١١ ويع ٥ : ٨ و ١ بط ٤ : ٧ و ١ يو ٢ : ١٨ و ١ تسا ٤ : ١٥ – ١٧ و ١ كو ١٠ : ١١ و ١٥ : ٥١ و ٥٢ الخ) ويرد الملك لهم ويحكم في الارض الف سنة كما في سفر الرؤيا (٢٠ : ٤ و ٦) وأن يوحنا لا يموت حتى يجيء المسيح (يو ٢١ : ٢٣) فلما مات يوحنا ومضت القرون ولم يجيء رجعوا الى عبارته في يوحنا فوجدوها لا تفيد ما توهموه وأولوا جميع عباراته

المزعومة وعبارات غيره الدالة على قرب مجيئه (حتى ما في متى ٢٤ : ٣ و ٢٩ - ٤١) وقالوا ان ملكوته روحاني لا دنيوي الخ الخ .

وقد بين علماء الافرنج في كثير من كتبهم أن اليهود لكثرة اختلاطهم بالامم الوثنية وتسلطها عليهم ورؤية اليهود مالهم من عز ومجد ومدنية وطول زمن خضوعهم لهم يئس كثير من خواصهم من أن يكون مسيحهم المنتظر سلطانا دنيويا ينقذهم من تسلط هؤلاء الامم الاجنبية القوية وتأثروا بما عندهم فاقتبسوا بعض أفكارهم الوثنية في آلهتهم التي قالوا انها نزلت بارادتها الى الارض لخلاص البشر بالخضوع للموت والصلب وطبقوا هم أيضا هذه الافكار على مسيحهم فقالوا انه سيكون شخصا الهيا أو ابن الله تعالى وسيرسله لتخليص الناس بالموت والصلب طائعا مختارا (!!) كما قال الوثنيون في آلهتهم فان ميل اليهود للوثنية متأصل فيهم من قديم الزمان ولذلك كثيرا ما عبدوا آلهة الامم وكفروا مرارا بربهم وكانت نساء أورشليم يبكين على « تموز » إله البابليين الذي قتل لاجل خلاص البشر ثم قام من الموت أيضا (حز ٨ : ١٤) . وهذا هو سبب ورود بعض ما يشبه هذه الافكار الوثنية في بعض كتب العهد القديم كما في أشعياء (٥٣) وميخا (٥ : ٢ - ٩) فلما جاء عيسى اخترع له مؤلفو العهد الجديد بعد زمنه من الحوادث والصفات والاقوال ما يجعلهم قادرين على تطبيق أوهام اليهود القديمة عليه (راجع مثلا ع ٨ : ٢٦ - ٤٠) هذا اذا صح أن ما في تلك الكتب هو حقيقة اشارة الى المسيح وصلبه وفديه كما يزعمون على أن أكثر اليهود كان يرى فيها خلاف ذلك ويعتقد أن المسيح لابد أن يكون ظافرا منصورا لا مغلوبا مقهورا كما هو صريح أكثر النبوات الواردة في شأنه في العهد القديم (راجع مثلا ميخا أصحاح ٥ وزكريا ٩ : ٩ - ١٧ وملاخي ٣ : ١ - ٦ و ٤ : ٥ وأشعيا ١١ : ١ - ١٦ وأيضا أصحاح ٢ و ٤ منه إذا صح زعمهم أنه في المسيح هو وما في حجي ٢ : ٦ - ٩) ولذلك كانوا يعدون الصلب أكبر عثرة في سبيل ايمانهم به كما قال بولس (١ كو ١ : ٢٣) ولكن الآخرين منهم اعتقدوا فيه كما اعتقد بولس وكان توهمهم صلبه مما يزيد اعتقادهم انه هو المسيح المنتظر لا يزعزعه فلذا كان وقوع حادثة الصلب بالكيفية التي شرحناها اولا مما يؤيد قول فريق منهم بصحة مسيحية عيسى ويناقض قول الآخرين ولو وقع عكس ذلك

بأن نجا المسيح ولم يشتبهوا في غيره لاعتقاد كونه هو المسيح كثيرون وخالفهم ايضا آخرون ممن يعتقدون وجوب تألم المسيح فلذا كان وقوع حادثة الصلب وعدمها على حد سواء بالنسبة لهذه المسألة . على ان من الاوجه التي سبقت ان رؤساء اليهود صلبوا عمدا واحدا غيره حينما نجا منهم فلم يكونوا مخدوعين بل كانوا هم الخادعين للناس . وبسبب غشهم هذا انقسم الناس في امر المسيح الى طوائف عديدة يعرفها المطلعون على تاريخ الكنيسة المسيحية فمنهم من جوز الصلب والعذاب على المسيح كبولس واتباعه ووافقهم على ذلك تلمود اليهود أيضا في القرن الثاني، ومنهم من لم يجوزه وهم جمهور اليهود الآخرين للآن ومنهم من اعتقد أن المصلوب هو عيسى وأنه انسان او إله او كاذب ، ومنهم من قال ان المصلوب شخص آخر ومنهم من يرى ان نبوات التألم والعذاب تمت أو ستتم في المسيح المنتظر ومنهم من يرى أنها ليست في حقه بالمرة بل في موضوعات أخرى ، ولله في خلقه شؤون

هذا وقد أفاد وقوع الصلب بهذه الصورة التي شرحناها فوائد : - (١) أن المسيح نجا من أذاهم (٢) أن يهوذا (على الوجه الاول) وقع في الحفرة التي حفرها للمسيح عقابا له على خيانته (٣) عرف الناس خطأهم في الاعتقاد بأن المسيح لا يموت (يو ١٢ : ٣٤) وبأنه يكون حاكما دنيويا يرد الملك لاسرائيل وان الله لم يجعله فوق نواميس الوجود كما كانوا يتوهمون (أفسس ١ : ٢٠ و ٢١) (٤) عرف بعض طوائفهم قديما وحديثا بأنه ليس الها والا لما صلب على زعمهم رغم انفه ولما دعا الله طالبا النجاة ولما يئس المصلوب من رحمة الله ، ولولا ذلك لكان اعتقاد ألوهيته عاما بين أتباعه جميعا في كل زمان ومكان ولما قال جمهورهم إن فيه جزءا ناسوتيا حادثا (١) ولأجمعوا على اعتباره كله لاهوتا محضا لقرب عهد الامم بالوثنية وشدة ميلهم اليها في زمنه . راجع ما يقرب من ذلك المعنى في انجيل برنابا (٢٢٠ : ١٤ - ٢١)

فان قيل ولماذا لم يرسل الله نبيا بعد موته مباشرة ليخبر الناس بحقيقة المسألة

(١) حاشية : اذا كان المصلوب هو عيسى باعتبار أنه انسان فما معنى قول النصارى بعد ذلك « ان الله لفرط محبته للبشر ضحى بنفسه عنهم لخلاصهم » ?? مع أنه باعترافهم ما ضحى الا « بالانسان يسوع » الذي أكرهه على ذلك اكراها !! فأين اذاً محبته هذه الزائدة للبشر وأين محبته لابنه هذا وعدله معه ?!

حيًّا لا يذهبوا الى ماذهبوا اليه في أمر خلاص البشر بصلبه؟ قلت : ــ

(١) إن هذه العقيدة وحدها بدون دعوى الالوهية له لا ضرر فيها كبيرا سوى أنها خطأ نظري عقلي . ولم يكن اعتقاد الصلب هو الحامل لهم على دعوى الالوهية له في مبدأ الامر بل لم تحملهم حادثة الصلب نفسها وضياع الجثة على القول بأكثر من أنه قام من الموت كما يعتقد المسلمون قيام الذي مر على القرية (ق ٢ : ٢٥٩) وكانت الدعوة الاولى الى المسيحية كما في كتبهم قاصرة على (أن عيسى هو انسان وأنه هو المسيح المنتظر وأنه صلب ولكنه قام من الموت وجعله الله ربا وسيدا كما جعل موسى (خر ٧ : ١) رغما عن صلب اليهود المسيح) راجع خطاب بطرس لليهود في سفر الاعمال (اع ٢ : ٢٢ ــ ٣٦) ولما جاء بولس نبههم أو اخترع لهم (١) حكمة الصلب وهي تخليص البشر بعد أن فكر في ذلك مدة طويلة منها ثلاث سنين تقريبا اعتزل فيها الناس في بلاد العرب وفي آخرها ذهب الى دمشق (غل ١ : ١٧ و١٨) وربما وافقه بعض التلاميذ على هذه الحكمة التي أرشدهم اليها والظاهر أنهم خالفوه في غيرها من أفكاره كقوله بعدم وجوب الختان وجواز أكل ما ذبح للاوثان (راجع غل ٥ : ٢ و١ كو ٦ و٨ ورومية ١٤ وكو ٢ : ١٦ ثم اقرأ رؤيا ٢ : ٩ و١٤ و٣ : ٩) ولذلك ذمه يوحنا بعد موته في رؤياه هذه . وقد سمى بولس انجيله (انجيل الغرلة للامم غير اليهودية) (غل ٢ : ٧ ــ ١٠) وانجيل تلاميذ المسيح (بانجيل الختان) وكانت دعوتهم قاصرة على اليهود فقط كدعوة المسيح عليه

(١) حاشية ــ اذا صح أن هذه العقائد كانت عند بعض خواص اليهود من قبل عيسى بسنين عديدة أخذا عن الوثنيين كما يقول علماء الافرنج الآن ــ كان بولس هو فقط أعظم من أرشد عامة اليهود اليها وتوسع فيها وأتقن تطبيقها على المسيح ودعا بعض الامم الاجنبية اليها ولكنه مع ذلك ما كان يعتقد في عيسى الالوهية الحقيقية الكاملة بل اعترف كثيرا في رسائله أنه فقط رب (أي سيد) وخلقه الله قبل جميع الخلائق (كو ١ : ١٥) وأخضع الله له كل شيء وبه خلق كل شيء (١ كو ٨ : ٦) فهو عنده ليس قديما كالاله تعالى بل منه استمد وجوده وقدرته (واجع أيضا أمثال ٨ : ٢٢ ــ ٣١) وهو أقل منه درجة وخاضعا له (١ كو ١٥ : ٢٧ و٢٨ و١١ : ٣) وأما مساواة عيسى بالله تعالى في كل شيء وخصوصا في الجوهر والمقام والازلية فبولس لم يعرفها كما هو صريح جميع رسائله وانما هي مسألة سرت الى النصرانية بعد بولس من فلسفة الرواقيين في (الكلمة) وفلسفة يهود الاسكندرية فيها وخصوصا (فيلو) (Philo) الذي كان معاصرا للمسيح والظاهر أنها لم تصل الى كتب العهدين التي بقيت الى الآن خالية من كل نص صريح قاطع يدل على الالوهية الحقيقية للمسيح ومساواته للاب المساواة التامة في كل شيء على جميع عباراتها تنافي هذه العقيدة (واجع أيضا كتابنا « دين الله » فصل ٢ وصفحة ٦٦ و٦٧)

السلام نفسه (راجع كتاب دين الخوارق Supernatural Religion فصل ٣ ــ ٧ من الجزء الرابع)

(٢) إن اختلاف البشر أمر طبيعي أراده الله ولا بد منه ولو أرسل الله رسولا لبيان ذلك عقب المسيح مباشرة لآمن به بعض الناس وكفر به الآخرون ولما زال الخلاف من بينهم

(٣) لما كثر الفساد في عقائد الامم قاطبة وفي مذاهبهم وعم جميع شؤونهم الدينية والدنيوية وكثر سفك الدماء وظلم الاجراء وخصوصا عند النصارى أرسل الله محمدا على فترة من الرسل فبين لهم الحق من الباطل

(٤) إن النصارى تقول ان روح القدس نزل على تلاميذ المسيح بعده وأرشدهم الى الحق في كل شيء فهل زال الخلاف من بين النصارى بسبب ذلك ؟ لا. اننا لا نرى أمة من الامم اشتد اقتتالها واختلافها في كل جزئية من جزئيات الدين والدنيا أكثر من النصارى وخصوصا بعد نزول هذا الروح المزعوم . فلهذا كله اقتضت الحكمة الالهية تأخير البيان حتى اشتدت حاجة الامم كافة واستعدت نفوس البشر لقبول الاصلاح بعد أن عم الفساد الارض فجاء محمد على حين فترة من الرسل كما قال القرآن الشريف (٥ : ١٩) بالاصلاح الذي ينشدونه وبيان الحق الذي يتطلبونه فلذا دخل الناس في دينه أفواجا أفواجا وعم سلطانه الارض في وقت قصير لم يعهد له مثيل في تاريخ البشر كما بينه الاستاذ الامام في رسالة علم التوحيد والى الآن نرى الناس يقتربون من الاسلام شيئا فشيئا حتى أوشك حكماء أوروبا وعلماؤها أن يدخلوا فيه من حيث لا يشعرون وسيكون ان شاء الله هو دين الانسانية العام في الارض كما تدل عليه بوادر الامور ولا يهولنك ضعف دوله الآن فان ذلك لا يعد شيئا في جانب ما نراه من اقتراب جميع العقلاء والمفكرين من عقائده اقترابا كليا وجزئيا حتى سادت العقائد الاسلامية على أذهان كبار الناس اليوم في كل مكان (راجع ما تنشره جماعة العقليين (Rationalists) كالكتب التي تصدر من مطبعة Watts Co. وشركاه بلندرة ومن هذه الكتب يتضح لك صدق قوله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد)

﴿ استطراد لا بأس به ﴾

بمناسبة ذكر جبل الزيتون كثيرا في هذه المقالة نقول ما يأتي : –

سمي هذا الجبل بذلك لكثرة ما كان به من شجر الزيتون وهذا الجبل شهرة عظيمة في تاريخ المسيح يعرفها المطلعون على الاناجيل والأرجح أنه أول ما نزل عليه الوحي كان عليه السلام هنالك (راجع مثلا لو ٤ : ١ و ٥ و ٩) لذلك أقسم الله تعالى به في قوله (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين) أما التين فهو شجرة بوذا مؤسس الديانة البوذية التي تحرفت كثيرا عن أصلها الحقيقي لان تعاليم بوذا لم تكتب في زمنه وانما رويت كالاحاديث بالروايات الشفوية ثم كتبت بعد ذلك حينما ارتقى أتباعها . والراجح عندنا (بل المحقق اذا صح تفسيرنا لهذه الآية) أنه كان نبيا صادقا ويسمى (سكياموني) أو (جوتاما) وكان في أول أمره يأوي الى شجرة تين عظيمة وتحتها نزل عليه الوحي وأرسله الله رسولا فجاءه الشيطان ليجربه هنالك فلم ينجح معه كما حدث للمسيح في أول نبوته (راجع لو ٤ : ١ – ١٣) وهذه الشجرة مشهورة الى الآن عند البوذيين وتسمى عندهم (التينة المقدسة) (وبلغتهم أجاپالا) « Ajapala »

ففي هذه الآية ذكر الله تعالى أعظم أديان البشر الاربعة الموحاة منه تعالى لهدايتهم ونفعهم في دينهم ودنياهم فالقسم فيها كالتمهيد لقوله بعده (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) الى آخر السورة . ولا يزال أهل الاديان الاربعة هم أعظم أمم الارض وأكثرهم عددا وأرقاهم . والترتيب في ذكرها في الآية هو باعتبار درجة صحتها بالنسبة لاصولها الاولى فبدأ تعالى بالقسم بالبوذية لانها أقل درجة في الصحة وأشد الاديان تحريفا عن أصلها كما يبدأ الانسان بالقسم بالشيء الصغير ثم يرتقي التأكيد الى ما هو أعلى . ثم النصرانية وهي أقل من البوذية تحريفا ثم اليهودية وهي أصح من النصرانية ثم الاسلامية وهي أصحها جميعا (١) وأبعدها عن التحريف والتبديل بل ان أصولها (الكتاب والسنة العملية المتواترة) لم يتم فيها تحريف مطلقا . ومن محاسن هذه الآية الشريفة غير ذلك ذكر ديني الفضل (البوذية والمسيحية) أولا ثم ديني العدل (اليهودية والاسلامية) ثانيا للاشارة الى الحكمة بتربية الفضل والمسامحة مع الناس أولا ثم تربية الشدة والعدل وكذلك بدأ الاسلام باللين والعفو ثم بالشدة والعقاب . ولا يخفى على الباحثين التشابه العظيم بين بوذا وعيسى ودينيهما وكذلك التشابه بين موسى ومحمد ودينيهما فلذا جمع الاولان معا والآخران كذلك . وقدم البوذية على المسيحية لقدم الاولى كما قدم الموسوية على المحمدية لهذا السبب بعينه . ومن محاسن الآية أيضا الرمز والاشارة الى ديني الرحمة بالفاكهة والثمرة والى ديني العدل بالجبل والبلدة الجبلية (مكة) وهي البلد الامين . ومن التناسب البديع بين ألفاظ الآية أن التين والزيتون ينبتان كثيرا في أودية الجبال كما في جبل الزيتون بالشام وطور سينا وهما مشهوران بهما . فهذه الآية قسم بأول مهابط الوحي وأكرم أماكن التجلي الالهي على أنبيائه الاربعة الذين بقيت شرائعهم الى الآن وأرسلهم الله لهداية الناس الذين خلقهم في أحسن تقويم

استدراك – نص كتاب صدق المسيحية (The Truth of Christianity) في ص ٦٠ على أن المسيحية انتشرت قديما في بلاد الهند . فهل ذلك مما يساعد على القول بالهجرة الهندية السابقة ؟

---

(١) قال العلامة أرثر دروز (Arthur Drews) في كتابه شهود تاريخ يسوع ص ٢٩٥ « ان الاسلام هو الدين العظيم الوحيد الذي نعرف منه باليقين أن مؤسسه كان شخصا له وجود حقيقي تاريخي » اه وقد ذكر هذه العبارة بعد أن أظهر شكه من الوجهة التاريخية في سائر مؤسسي الاديان الاخرى

خطبة (*)

«لرأس هذه السنة الجديدة سنة ١٣٣١ هجرية»

الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً — قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير — تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور — شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم — محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما — لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا — وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين — والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيآتهم وأصلح بالهم — ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما — ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما — اللهم صل على نبيك رسول الرحمة ، وكاشف الغمة ، ومزيل النقمة ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن اهتدى بهديهم في الاولين والآخرين ، واجعلنا منهم برحمتك يا أرحم الراحمين ، وسلم تسليما كثيرا .

(*) ألقاها السيد عبد الحق حقي الأعظمي البغدادي الازهري نائب استاذ الشعبة العربية في الكلية الاسلامية الكبرى في عليكره بالهند

وطبعت على متنها العربية مع ترجمتها بالاوردية على نفقة الشاب النجيب المهذب الشيخ عبد الرحمن الذكير نجل التقي الصالح الشيخ مقبل بن عبد الرحمن الذكير التاجر الشهير في البحرين

أما بعد فيا أيها المسلمون — هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين — ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين — ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين — وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين — أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين — ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون — أولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون — ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا

أيها المسلمون — مرت الليالي والايام ، وتعاقبت الشهور والاعوام ، والامة الاسلامية في كل موضع ومقام ، تتظلم وتضام ، وتداس بالاقدام ، عند جميع الاقوام وهم (لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة) ولا ينظرون الى مسلم بعين انصاف أو رحمة ، وان من أشد هاتيك الاعوام الماضية ، وتلك الايام النحسة الخالية ، هذا العام الذي طويت صحيفته من الوجود ، ومحيت أيامه ولياليه من الخافقين فلا تعود ، (هنالك ابتلي المؤمنين وزلزلوا زلزالا شديدا) وعم الويل والثبور القريب منهم والبعيد ، فقد انتابتهم النوائب الماحقة ، وصبت عليهم المصائب الساحقة ، وألمت بهم الرزايا المديدة ، ونزلت بساحتهم البلايا المبيدة ، وأحاطت بهم المهالك ، فجعلت أيامهم البيض سودا حوالك ، وها هي ذي الامة الاسلامية تردد النفس الاخير ، وسيقضى عليها (لا قدر الله) ان لم يتداركها برحمته العزيز القدير (ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)

أنظروا بعيني البصر والبصيرة ، الى هذه الامة الكبيرة ، ذات العزة والسطوة والمنعة والقوة ، والايام المشهورة والآثار المسطورة ، تروها على وجه هذا الصحصحان ، ككرة الصولجان ، تتقاذفها الفرسان ، وتطاردها الفتيان ، وتقلبها في الميدان ، وهي لضعفها طوع صوالجهم ، ولعجزهم تبع اراداتهم ، لا ترد ضربة ضارب ، ولا تكف يد لاعب (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم — ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن أنفسهم يظلمون)

تأملوا رحمكم الله وأصلح بالكم ، في هذه الامة الكريمة ، ذات الشهرة العظيمة ، والرعب والرهبة ، والفتح والغلبة ، تجدوها بين الامم ، كقطيع من الغنم ، غاب عنها راعيها وقد خيمت عليها الظلم ، فانقضت عليها ذئاب العرب المتمدنة ، وثعالب تمدن

هذه الأزمنة ، تبجحوا بالألقاب والحراب ، وتخرق منها الجلابيب والأهاب ، وتسومها سوء الهوان والعذاب ، تقطع أوصالها ، وتستلب أموالها ، تقتطع ممالكها مملكة فمملكة وتجرها من مهلكة الى مهلكة ، تغتصب بلدانها وتختطف تيجانها ، تستنزف دماءها ، وتخرق أشلاءها ، مرتكنة في استباحة أعمالها ، على حجج لا مبرر لها ، ودعاوي أوهن من بيت العنكبوت ، وانه لأوهن البيوت ، وأنتم تستغيثون بالانسانية ولا انسانية لدى القوم ، وتستجيرون بالمروءة وقد ماتت ومات أهلها من يوم اليوم ، تناشدهم شفقة الأخوة الآدمية ، وتذكرهم بالحقوق الملية ، والمعاهدات الدولية ، وهم يتصامون عن سماعها ، وينغضون اليها رؤسهم استهزاء بها ، تخوفهم عاقبة هذه النار ، وعقاب القوي الجبار ، لكل ظالم ختار ، وهم لا يرهبهم الا الحديد ، والعدد العديد ، من الأبطال الصناديد ، أولي الأيد والبطش الشديد ، ولا يخيفهم الا الجماعة المتساندة ، والعصبة المتحدة ، والفئة المتعاضدة ، ذات القلوب المتوادة ، والأهواء الواحدة ، والمقاصد المتماثلة ، والأعمال المتواصلة ، والآراء السديدة ، والمساعي الحميدة ، والهمم العالية ، والمطالب السامية ، ولا ترعبهم الا السيوف البتارة ، والجيوش الجرارة ، والخيل والعدة والبأس والشدة ، والشهامة والنجدة ، ولا تفزعهم الا البواخر الماخرة والقلاع الزاخرة ، والمدافع المزمجرة ، والقذائف المدمرة ، ولا تردعهم الا الرماة الساهرة ، والقواد الماهرة ، والذخائر الوافرة ، والنيران الملتهبة ، والبيوت المتأهبة ، ولا يردعهم عنكم أيها المسلمون الساهون اللاهون ، الا الاهتداء بتعليم القرآن ، والامتثال لأوامر الرحمن ، والمبادرة الى العمل بقوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) وأنى للأمة الجاهلة اللاهية الغافلة ، بمثل هذه الصفات الفاضلة ، وأين منها هذه المزايا الفضلى ، والمعاني الجلى ، وقد اشتغل ساداتها وكبراؤها ، وأمراؤها وزعماؤها ، بالألقاب الباطلة ، والفخفخة الباطلة ، عن اعداد القوة المرهوبة ، وتهيئة العدد المطلوبة ، وبفتح سابات الخمور ، عن تحصين الثغور ، وبتشييد القصور ، والتفاخر بالرياش والملابس ، عن تشييد القلاع والحصون ، وانشاء المدارس ، وبنصب مراسح التمثيل ، ورفع منصات السفه والأباطيل ، عن تأسيس المعامل لبناء الأساطيل والبواخر ، وعمل الخراطيش والأسلحة والذخائر ، وبالخرافات والترهات ، عن اقامة المصانع لابراز المصنوعات ، وبالركون الى البطالة اعتماداً على موهوم الامارة ، عن تعميم الزراعة وتنشيط التجارة ، حتى ملكوا أموالنا

ومن القوة ، وبالتخيلات الشعرية والشهوات البهيمية ، عن العلوم والفنون والمعارف العصرية ، وبعطالة وروايات الفحش والفجور ، عن تواريخ الامم ووقائع الدهور ، وبسير الفجار والاشرار ، عن سير القواد الكبار ، والاسلاف الاخيار ، وبتلقف أخبار زمرة الفسق والدعارة ،عن النظر في أحوال الامة والمملكة أو الامارة ، وبمعاقرة بنات الدنان ، ومعانقة الغيد الحسان ، عن تلاوة القرآن لمعرفة أوامر الرحمن ، وبالانهماك في قصص البغايا والبغاء ، عن الالتفات الى أحاديث خاتم الانبياء ، وبالاعتناء الشديد بقول الخناس الوسواس ، عن الاهتداء بقول ذي العرش المجيد « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » وبالتفاني في طاعة النفس والهوى ، في كل مايضرهم ولا ينفعهم ، ويفسدهم ولا يصلحهم ، وهم غافلون لاهون ، لايحسون ولا ولا يشعرون ، عن امتثال أوامر فالق الحب والنوى ، بما به يعلون ويعتزون ، ولا يهنون ولا يحزنون ، ويحترمون ويهابون ، ولا يهانون ولا يظلمون ، يبيتون لياليهم سجداً ولكن في المراقص والحانات ، وركعاً ولكن على مناضد الخمور والمقبلات ، وخشعاً ولكن لاصوات القينات ، ووسواس حلي الراقصات ، ويقضون نهارهم في سررهم نائمين ، لايهمهم من أمري الدنيا والدين ، الا تناول المساحيق وابتلاع المعاجين (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين — ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين — ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا — ربنا هؤلاء أضلونا — ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) فهل والحال هذه يفرح ذو شعور باختتام عام وافتتاح عام ، أو تنشط نفس مسلم غيور الى السرور بتجدد الشهور والايام ، وهل يستلذ بمنام ، أو يهنأ بطعام ، من يشاهد حال هذه الامة ، التي تراكمت عليها الخطوب المدلهمة ، ويرى غفلة رعاتها عن الواجبات الجمة ، وتقاعدهم عن الامور المهمة ، ألا يليق بذي الاحساس أن يبكي بدل الدمع دما ، ألا يجدر به أن يلبس حداداً على هذه الامة ثوبا أبديا ، ألا يجب على كل مسلم أن يقبل على رب العالمين ، ويتضرع اليه بقلب خاشع حزين ، ولسان صادق مبين ، قائلا في كل وقت وحين (لااله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين) ألا يجب على المسلمين أن يسارعوا الى التوبة من كل باب ، ويقلعوا عن المعاصي التي جلبت عليهم أنواع الهلاك والخراب ، وينيبوا الى الرؤف الرحيم ، ويستغفروه قائلين (ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين — ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم) ألا يجب عليهم أن يجددوا الايمان ، ويوقنوا بوعد ووعيد

الواحد الديان ، فيعملوا بتعليم القرآن ، ويهتدوا بهدى أكمل وأشرف بني الانسان ، ويقتدوا به صلى الله عليه وسلم ، وبأصحابه أصحاب العزم والحزم ، ويقبلوا على اصلاح الحال ، بتطهير النفوس والعقول من الغي والضلال ، والزيغ في الاقوال والافعال ، والانحراف عن الجادة المثلى في النيات والاعمال ، فيبادروا الى تدارك مافات عاملين مجدين ، وعلى ربهم متوكلين ، واليه لاجئين ، وله خاضعين ، ومنه مؤملين ، وبحبله معتصمين ، متضرعين اليه ومبتهلين ، ولعفوه ونصره ومدده وصونه طالبين ، قائلين (ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ـ ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا ، واغفر لنا ، وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)

فاليقظة اليقظة أيها النائمون ، والانتباه الانتباه أيها الغافلون ، والعمل العمل أيها المقصرون ، والوجل الوجل أيها المفرطون ، والحذر الحذر أيها المتكاسلون ، قبل حلول القضاء المبرم ، ووقوع البلاء المحتم ، من القوي الجبار ، المنتقم القهار ، على من عصى وتجبر وعرف الحق ثم أنكر ، وزاغ بعد الهداية ، ولم يتعظ بما مضى في البداية ، ولا تفكر في العاقبة والنهاية (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا * فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا * ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن مايحبسه الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) فالفرار الفرار ، من موجبات العذاب النكر والحساب الشديد ، والبدار البدار الى امتثال أوامر العلي المجيد ، الفعال لما يريد (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ـ ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ـ أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون)

أيها المسلمون ـ جربتم العصيان فجربوا الطاعة . وعلمتم الباطل فاعملوا الحق من هذه الساعة . وذقتم مرارة الافراط والتفريط والاسراف والاضاعة . فذوقوا حلاوة القصد والعدل والثبات والاستقامة فانها أربح بضاعة . وسيتم للخزي والعار

وتمسكم بالموصلات الى النار . وغضب الجبار . فاسموا للعز والشرف والفخار . وتمسكوا بالمدخلات في رضوان الله وجنته دار القرار . فالله الله في أنفسكم أيها المسلمون . والتوبة مقبولة والرحمة مبسوطة والطريق ممهد لايخيب فيه السالكون . والسرعة السرعة يا خير الامم . قبل أن يؤخذ بالكظم . وتندموا فلا ينفعكم الندم . واذكروا قوله تعالى — ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم — وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون — واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون — ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ همّ قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله. وعلى الله فليتوكل المؤمنون — واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور — واذكروا اذ كنتم قليلاً فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين — ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً . اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا — واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون — فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون

الفهم والتفاهم

كنا نود أن لا يأتي الزمان شاهداً بليغاً بصحة ما كنا نقول ونصف من مضار الابتعاد عن الفهم والتفاهم ، أما وقد أتى الزمان بهذه الشهادة التي سمعتها كل أذن فنحن غير ضانين باعادة التذكير على الحياة التي يرجى شيء منها لقومنا في الأيام الآتية تكون في تقويم أحسن ، وشكل أمتن .

عهدنا القوم يقولون نحن نؤمن أن الباري عز وجل قد أكرمنا بهداية عظيمة ولكننا لانفهمها الا بواسطة فلان وفلان وتعدد الذين هم أئمة ومقتدون لهم وأبناهم متباغضين أشد التباغض ، ومتنافرين أشد التنافر وما ذلك الا لان فهم الامام فلان قد خالف فهم الامام فلان ولكل منهم امام معلوم . وأعظم هذا الافتراق قد وقع